

## الفكر الخاطئ والسلوك العبثي

يعجب كل متابع للحالة الفكرية والمجتمعية في العالم الإسلامي لكل هذا الاختلاف والشقاق بين النخبة والعامّة في أمور تتعلق بصميم الدين والمجتمع. إذ تموج الساحة الفكرية بأطروحات وأفكار تتوخى الانفراد بتوجيه مسيرة الدين والوطن في الأحداث التي تواجه المجتمع والأمة باعتبارها من وجهة نظر أصحابها التعبير الصحيح عن الإسلام، بما يكفل للجماعة أن تسير حياتها، وتنظم أمرها وفقا لرؤيتها وعملا بمنظورها وتفسيراتها في العلاقة بين الدين والحياة.

أول هذه الفرق تتجه إلى فكر التشدد والتنطع ذلك الذي يعتنق فقه الظاهرية الجديد، في الاعتماد على ظاهر نص بعينه ويحبس نفسه في حرفية بعض نصوص القرآن والسنة ويضعها في دوائر مغلقة، يفرض عليها ستارا حديديا ويفصلها عن سياقها فهو يصادر قواعد الاستنباط، ويغيب قواعد التفسير المتعارف عليها، ويتجاهل القواعد التي أرساها الأصوليون، ويتبنى التفسير الضيق الذي يقوم على سجن النص وعزله عن الحكم والعلل والدلالات التي توخاها الشرع من التشريع بالتعرف إلى المقاصد والحكم التي يتمكن بها من مواكبة أحداث الحياة، ومجاهاة الواقع، والجمع بين النصوص.

**وثمة ملامح فارقة يمكن رصدها في فكر هذا الفريق**

الانغلاق على حرفية النصوص، والتعبد بالمتون لا يفارقها بدعوى أن في الخروج على هذه الحرفية والنصية ضلال في الدين، واتباع الهوى

والتقول على الله بغير علم ولا برهان.

اختزال الدين في طقوس وشكليات وحجب مضامينه وغاياته ومقاصده الكبرى، إذ الدين عند أصحاب تيار الغلو والتشدد، ينحصر في إطالة اللحية، وتقصير الثياب، والسواك، والنقاب، والتعوذ والحوقة من هؤلاء الذين لا يسلكون مسلكهم، ولا يصدعون لرأيهم، غافلين عن حديث: [إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم]<sup>(١)</sup>. وينسحب هذا الفكر المتشدد على أمور المعاملات والشئون الحياتية، وحتى في النظر إلى أركان الإسلام، والعبادات.

فبدء صيام رمضان يكون بالرؤية البصرية، تمسكا بظاهر الحديث: [الشهر هكذا وهكذا وهكذا - ثم عقد إبهامه في الثالثة - فصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غمى عليكم فاقدروا له ثلاثين]<sup>(٢)</sup>.

ويتعصبون لذلك، حتى لو أدى أن يكون لأكثر من جماعة داخل الدولة، بداية مختلفة عن الأخرى لشهر رمضان مع ما في هذا الصنيع من تفويت لأقوى رابط بين المجتمع والأمة، وحدة الجماعة في ركن من أركان الإسلام. وما حدث في بداية الشهر من الاختلاف يحدث كذلك عند الانتهاء، في يوم العيد.

### وعلى شاكلة هذا النمط المغلوط لأحكام الدين

إباحة زواج القاصرات، فلا مانع في رأيهم أن تتزوج صبية أقرب إلى أن تكون طفلة برجل بلغ من العمر أرزله حتى وجدنا صبية في التاسعة من عمرها تزوجت أكثر من مرة، وأخرى عمرها ١٧ سنة تزوجت ١٦ مرة.

(١) سنن الترمذى، كتاب الزهد، باب ٩ رقم ١٤٨٢٣.

(٢) رواه مسلم كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفرط لرؤية الهلال وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما.

ويقولون ذلك بحجة وجود العقد الشرعى وتوفر الرضا والشهود على ذلك، كما يستدلون بزواج السيدة عائشة بالرسول ﷺ، وهو قول غير ناهض لأنه لم يثبت أن الرسول تزوجها أو دخل بها فى هذه السن المبكرة، والثابت أن زواج الرسول برمته كان مؤسسا على الخصوصية لأمر الرسالة ونشر الدعوة.

أما الزواج بالقاصرات الحاصل هذه الأيام، فهو عودة لسوق النخاسة الجديد، وواد للبنات على نحو ما كان يفعله عرب الجاهلية الأولى، واستعباد للنساء، وصورة من صور المتعة أو الزواج المؤقت المحرم شرعا. كما أن إخراج زكاة الفطر لا يجوز إلا من البر (القمح) أو الشعير أو التمر، فى الأصناف التى نص عليها الحديث لا يجوز إخراج النقود بديلا عنها، مع كونها تحقق مقصود الشرع من تشريع صدقة الفطر، وأنفع للفقير، وأنسب لظروفه، وتغنيه عن ذل السؤال فى هذا اليوم، وهو مطلب إسلامى نبه إليه الرسول ﷺ [أغنوهم عن ذل السؤال فى ذلك اليوم]<sup>(١)</sup>. ومثل هذا الاختلاف يحصل فى ركن الإسلام الخامس وهو الحج إلى بيت الله الحرام، فيما يتعلق فى السعى بين الصفا والمروة، فهم يرفضون السعى فى التوسعة الجديدة، بحجة أنه لا دليل عليها من قرآن ولا سنة، وأنها تخالف السنة النبوية، غير عابئين ولا مبالين بأرواح المسلمين وأدميتهم وجلال أداء الشعيرة، بسبب الزحام الشديد، والهرج الذى يبلغ حد الفوضى. وفى شئون الحياة ينكرون على المرأة أن تتولى القضاء، واقفين عند ظاهر حديث: [لن يصلح قوم ولوا أمرهم امرأة]<sup>(٢)</sup>.

(١) من أقوال الفقهاء والجمهور على استحباب ذلك ترتيب مسند الشافعى.

(٢) صحيح البخارى كتاب المغازى، باب ٨٢.

مع أن القرآن أثنى على صنيع بلقيس وهي حاكمة على قومها، ومتولية لأمرهم: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النمل: الآية ٢٣].

وأن النهى فى الحديث إنما ينصرف إلى الإمامة العظمى، كحاكمة على جميع أقطار المسلمين، بل إنهم يغالون فى وضعىة المرأة فى المجتمع، فيعتبرونها عورة، فى صوتها وفى كيانها، وفى ظهورها فى نشاط الحياة، ومشاركتها فى الشأن العام ويصورون ذلك بأنه من التبرج الذى نهى الله عنه ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٣]. وهم ينكرون بذلك إنسانية المرأة، ومشاركتها وأدوارها مع الرجل فى بناء المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام فى تأسيس الدولة مع الرسول فى بيعة العقبة الثانية، ٧٣ رجلا وامراتان. ومشورة أم سلمة للرسول فى صلح الحديبية.

وروايات السيدة عائشة رضي الله عنها للأحاديث. وحفظ السيدة حفصة رضي الله عنها لنسخة القرآن بعد الجمع الأول إلى الجمع الثالث فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وهم يرفضون الديمقراطية الحديثة، ويعتبرونها بمؤسساتها صناعة غريبة ينبغى إدانتها والتخلى عنها، مع أنه يجوز اعتبارها إعمالا للشورى الإسلامية فى ضوء الضوابط والقواعد الشرعية.

### الشطط فى التحريم

فدنيا المسلم فى نظرهم من المحرمات والمحظورات والمنهيات، وكأن الإسلام لم يأت إلا بالويل والثبور وعظائم الأمور.

## فزاعة تكفير المخالفين ورميهم بالفجور والفسق

إذ ينصبون أنفسهم على أنهم أصحاب الدين وملاك الحقيقة يصدرون صكوك الشرعية ومصائر العباد، ويرمون الفرد والمجتمع والدولة بالتكفير والفسق والفجور.

وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: الآية ٤٨].

## أيضا مخالفة ذلك لما ذهب إليه المحققون من الفقهاء

فإنه إذا صدر قول أو عمل من مسلم احتمال الكفر من تسعة وتسعين وجها، واحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل حال المسلم على الإيمان<sup>(١)</sup> ترجيحاً لجانب الإيمان على جانب الكفر.

الفريق الثاني: فكر التغريب أو التحلل فهو يعتبر الدين قوة روحية، لا يجوز تحكيمها في شئون الحياة، وأنصاره يشتمون في فهم الدين وتفسير نصوصه، تحت مسمى الاستنارة والحدثة.

هذا التيار يقوم على عدم التقيد بالنص ولا يأبه بالوقوف عند محددات فهمه، والمعطيات التي جاء بها، وسبب نزوله، وضوابط إعماله وتفسيره أو تأويله.

ونتيجة لذلك فقد أحدثوا في الدين ما ليس منه، وأضافوا عليه ما لم يكن فيه، بل قد ينتقصون من حقائق الدين، أو يشككون في ثوابته لمقتضيات عصر العولمة، عن طريق الاجتهاد والتجديد، تحت مسميات براقة كالتنوير أو العصرية أو الحدثة أو العولمة أو الكوكبة أو ما يراد منها من المصطلحات.

(١) الإمام محمد عبده، الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية، ص ٥٣.

ويتحكم في نظر أصحاب هذا الاتجاه عوامل شخصية، وتأثيرات أجنبية، أثرت على فكرهم، ومسخت خصوصيتهم، وفعلت بهم الأفاعيل، إلى حد غسل الأدمغة، والدوران في فلك الغزو والافتنان بكل ما هو غربي، والتجرؤ على كل ما هو إسلامي.

ولديهم بجانب ذلك ميول وأهواء تغلب برؤوسهم وترسم توجهاتهم، فهم رواد الفكر، ودعاة التنوير، وصناع التقدم، الذين يجرون قاطرة المجتمع إلى الأمام، وكل منهم يقدم نفسه على أنه قبطان سفينة الإنقاذ للوطن والفكر المستنير الذي يفكره ترقى الأمة، ويتقدم المجتمع.

وهم في توجههم نحو التحلل والانفلات من النصوص، والنعي على القرآن والسنة، وتفسيرها بما يتفق مع تصوراتهم التحكيمية والفردية يسلكون مسلك الشطط والتجاوز عما هو ثابت ومقرر:

فها هو ذا الأستاذ «جمال البنا» من دعاة هذا الفكر يقول عن السنة الشريفة<sup>(١)</sup>: إن ألوف الأحاديث التي وردت في ذلك وامتلات بها كتب السنة وأكدها وحققها المحدثون وحكموا بصحتها ووصلوا ببعضها إلى المتواتر أعطت للمجتمع الإسلامي بعضاً من أظهر خصائصه، وهن المعارضة السياسية وغياب المرأة من المجتمع أو حرمانها من العلم والمعرفة والحيلولة دون ظهور الفنون والآداب وبقية تجليات النفس الإنسانية، وأوجدت النفسية النمطية للمسلم والطابع السائد للإسلام الذي تغلب عليه الطقوسية والعبادية والتقليد والاستسلام والسلبية والبعث عن الفعالية والمبادرات الحية والنشطة واتجاه القرآنيين الذين يحصرون الإسلام في القرآن وحده وينكرون الاحتجاج بالسنة وأنواعها، ويشتطون في تفسير القرآن، استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم:

(١) قضية الفقه الجديد، دار الفكر الإسلامي، ص ٥٨.

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نَعْمَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٣٨].  
 ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النحل: الآية ٨٩].  
 فى تغيب وتجاهل لحقائق القرآن الموجبة لإتباع الرسول ﷺ  
 ﴿ وَمَا ءَأَنكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [سورة الحشر: الآية ٧].  
 ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم: الآيتان ٣ - ٤].

وقد تفرع عن مقولتهم تلك جواز الحج إلى غير الكعبة فى البيت الحرام فى مكة البلد الحرام، وأن الحج ليس حكرا على هذا المكان. ومن قبيل ذلك مقولة «د. نوال السعداوى»: من دعاة فكر التغريب أن الطواف بالكعبة من بقايا الوثنية وعبادة الحجر وفى السياق نفسه نجد أن «د. سيد القمنى» يقترح أن يبني بناء على غرار الكعبة يكون مجمعا للأديان على أرض سيناء كى يقصده السياح والزائرون، على أساس أنه يجمع بين الأديان ويكون مزارا لأتباع الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية.

وموطن المشلكة اعتبار المبنى كالكعبة بيت الله الحرام، يتمتع بالقدسية، ومقصد للمسلم وغير المسلم.  
 وكما هو معلوم فإن زيارة المسلم البيت العتيق، والحج إلى الكعبة، هو الفرض الخامس من فرائض الإسلام.  
 وعليه فإن محاكاة الكعبة، ونقل قدسيتها إلى أرض سيناء يتنافى مع مكانة الكعبة وجلالها كأول بيت وضع للناس بمكة وهو الموضع المبارك

والمقدس فى الزمان والمكان تحديداً، الذى هو بيت عبادة المسلمين ينبغى أن يظل على تفردّه وخصوصيته وتمييزه دون تعدية على هذه الخصوصية والتفرد إلى صرح آخر مهما كان المبرر، بحسبان أنه يجب احترام بيوت العبادة والاحتفاظ لها بطابعها وخصوصيتها لأتباع كل دين. ومن أراد أن يقيم مبنى أو مزاراً، فلا بأس شريطة ألا يتخذ كمكان لحج المسلمين وألا ينعت بالقدسية أو العبادة كالأمر فى الكعبة التى خصتها نصوص القرآن والسنة بالعبادة وأوجب الحج إليها، وتشدد إليها الرحال مع المسجد النبوى، والمسجد الأقصى، دون سواها كما أخبر بذلك الحديث، وفى القرآن: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]. ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٩٦].

والأولى فى هذا المقام أن تفتح القدس الشريف لتكون مزاراً ومقصداً لأتباع الأديان جميعاً، الإسلام والمسيحية واليهودية فعلى أرضها توجد مقدسات الأديان الثلاثة بدلا من أعمال الاستيطان والتهويد التى تقوم بها إسرائيل بغية طمس معالمها العربية والإسلامية، وتحويلها إلى تراث يهودى، افتتاتاً على مقدسات الإسلام والمسيحية.

أيضاً معارضة البعض لمشروع قانون منع ازدراء الأديان الذى تسعى مصر لتتمريره عبر مجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، فهم يحسبونه قيدياً جديداً على حرية الرأى والتعبير وسيفاً مسلطاً على رقاب المفكرين والمبدعين، فيعتبره «د. عبد المنعم تليمة» بأنه: الأخطر على الإطلاق، ويؤدى إلى خنق الإبداع والفكر الحر<sup>(١)</sup>.

(١) اليوم السابع شبكة المعلومات الدولية، بتاريخ: ١ / ١٢ / ٢٠٠٩م.

فيما تقول د. «نوال السعداوى» في رفضها للمشروع<sup>(١)</sup>: إن الإبداع العلمي والفكرى هو أساس تقدم البشرية، وهو قائم على كسر تابوهات الأديان. أما ما تفعله الحكومات بدعوتها لمثل هذا القانون، إنما هو استخدام الدين كورقة رابحة بهدف ما وصفته بتحجيب العقول وتقسيم الشعوب على أساس الدين وسلامها في ذلك هو تملك القوى الرجعية لتدعيم أركان الاستغلال الطبقي في العالم.

ويمضى أنصار التغريب في مقولتهم بأن الدين يقف ضد حرية الفكر والإبداع والابتكار، وهو حجر عثرة في سبيل الفكر المستنير الخلاق.

وقد أغفلوا بهذا القول منجزات الحضارة الإسلامية في العلوم الإسلامية والعلوم الكونية والعقلية، وفي الفنون والآداب، وإبداعات الحضارات العالمية اليونانية، وكذا العديد من إبداعات الحضارة الحديثة مثل روسو ومونتسكيو ولوك وتوينبي وغيرهم.

فهذه المنجزات الفكرية لم تصادم ثوابت الدين، ولم تنتكز له، ولم تكفر بالمعتقدات الدينية أو تصفها بأنها تخنق الفكر والإبداع.

وبالرغم من ذلك فإن هذا التوجه يبني طرحه ورؤيته من منطلق أن الإسلام ينتقص ويهمش من وضعية المرأة، ويشكله في استجابة الإسلام وتبنيه لفكر حقوق الإنسان، فضلا عن تقديمه الإسلام بأنه بخاصم الحريات على اختلافها حرية المعتقد، حرية التعبير، حرية الإبداع والتفكير.

وفوق ذلك، فإن «الأستاذ أحمد عبد المعطى حجازى» يحصر دور الدين داخل جدران المسجد وأما شئون الحياة فلا دور له فيها، وهي مهمة العقل والقوانين والشرائع، وهو وغيره من أصحاب هذا الفكر يقيم

---

(١) اليوم السابع، على موقع شبكة المعلومات الدولية بتاريخ: ١/١٢/٢٠٠٩م.

قطعية بين الإسلام والحياة، فلا دور للإسلام فى الشئون العامة، ولا شأن له بالقضايا المجتمعية، فهو محصور فى المسجد لا ينفك عنه، وهذه هى مهمته كعقيدة تبنى العلاقة بين الله والمسلم، وأن يعبد الله كما أراد وحددت مشيئته، أما المجتمع وقضاياه ومشكلاته فلا شأن له بها. وكأن الدين فى نظر هذا الرأى هو وسيلة للتبرك، حيث يوضع القرآن كزينة فى المنازل والسيارات، ويتلى فى الجنائز والمساجد وعلى مقابر الأموات وكفى، أما شئون الحياة والمناشط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فلا دور للإسلام فيها.

### الإشكاليات الناشئة عن تصادم المذاهب الفكرية

يمكن إنجازها فى أمور من بينها

#### تغيب الرؤية الصحيحة النابعة من الوسطية الإسلامية

خلفت التيارات الفكرية تداعيات وجعلت الرؤية ضبابية فى أعين الجماهير والرأى العام، فقد اعتصم كل تيار برأيه الأحادى وتخذق حول الفكر الذى يدعو إليه، واعتبرها الملاذ الكفيل بتحقيق النجاة، واستعادة الإحياء والتجديد فى الفكر والممارسة، مما يعود بالمجتمع والأمة إلى رشدتها، ويصحح لها أمر مسيرتها.

– تكريس حالة الاختلاف ورفض الآخر، والعمل على إقصائه ومكمن الخطر فى هذه التوجيهات تكريس حاله الاختلاف الحاصلة ونعى كل فريق على الآخر ورمى المخالف بالخطأ والخطيئة فيما يذهب إليه، وإتباع سياسة الإقصاء بل واجتثاثه من طريقه للانفراد بالساحة مما أحدث خلافاً فى مسيرة الفكر، عم أثره السلبى فى تقدم الوطن والأمة، لعدم قبول أفكار الآخر.

ولو عقلت هذه التيارات مصلحة المجتمع والجمهير، لاتخذت من الوسائل النافعة ما يجعلها تلتقى مع بعضها البعض على كلمة سواء وخطة رشد يجدد أمر هذا الدين، ويستعيد دوره في الحياة المعاصرة، ويقدم رؤاه وتصوراته في القضايا والمستجدات، ويعالج المشكلات والإشكاليات الطارئة، ويستنفذ الأمة من أزماتها، ويرسم لها الطريق نحو النهضة وتبوأ المكانة اللائقة بها بين مجتمعات الأمم، في عالم يسير في طريق التوحد والتكتل، والعمل بكل سبيل لإحراز الغلب والسبق، ولا يرضى عن الريادة بديلا.

إشاعة الانقسام والمذهبية على حساب فريضة الوحدة والوطن في حين أن مسلك هذه التيارات بما أورثته من فوضى فكرية، وممارسات تصادمية، واتجاه إلى المذهبية أوجد فرقة وأحدث انقساما، فصار الصراع بينها على أشده لا مجال لبلورة قواسم مشتركة فيما بينها، ولا توجه لأعداء مصلحة الدين والوطن فوق كل المصالح الضيقة، والدعاوى الزائفة، المفارقة في مصادرة فكر الآخر ونفيه والرغبة في استئصاله.

لقد فات أصحاب هذا فكر أن يدركوا أن هذه الفرقة والطائفية هي الممول الذي يهدم حقائق الإسلام ويفوض بنيان الجماعة، ويضرب مصالحها في مقتل، وهو مما نهى عنه الإسلام أشد النهى،

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٩]. وقوله: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ حَكَمَةٌ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦].

## - ضرورة صياغة مشروع قومي لنهضة الأمة وتقدمها

لقد كان حرياً بكل رأى أن يسعى من منطلق ينبع من الهوية ومصصلحة الوطن، لأجل أن يجتمعوا على الهدف، ويسلكوا السبيل إليه بدلا من هذا الخلل والاضطراب والبلبلة والتخبط في مسيرة الحياة، بأن يعملوا صادقين مخلصين نحو صياغة مشروع قومي نابع من هوية الأمة، مستلهما مقاصدها وأهدافها في جميع المناشط الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، يحقق النهضة والتقدم.

ومن الضروري للتوصل إلى هذا الالتقاء المنشود، صدق التوجه وإخلاص القصد نحو الاجتهاد الشديد وبلورة فكر رشيد، يعلن عن هوية الأمة، وصالح الوطن والمجتمع ولا غضاضة أن تتعدد الوسائل والآليات التي تعلى الهوية وتقدم المجتمع ما دام أن هذه التعددية تتجه صوب الوحدة وتجمع الأطياف والاجتهادات نحو الهدف الواحد.

- الاعتصام بأدب الاختلاف وثقافة الحوار في ظل الهوية ما من شك أن التحلى بأدب الاختلاف وثقافة الحوار، وقيم التفاهم، يضحى مسألة أساسية، ومطلبا حتميا لنجاح الحوار، إذ إن الحفاظ على أدب الاختلاف هو ركيزة وقاعدة لكل حوار بوجه عام، وفي الحوار البيني بين أبناء الدين والوطن الواحد، بموجب أنهم شركاء في الدين والوطن، وأصحاب قضية وهدف واحد.

وإلى جانب هذا الحوار البيني المتحلى بأدب الاختلاف والحرص على بلوغ الحقيقة، يلزم احترام كل طرف للآخر، وإتاحة الفرصة له، وتفهم قوله بمقتضى أنه يشكل ضمانة مكملة للأولى، ومرتبطة بها

لا تنفك عنها، وأحرى بالفريقين أن يطبقوا ما نبه إليه القرآن عند الاختلاف: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: الآية ٨٣].  
أن يبدي كل طرف حجته فى القضية وفق الأدب القرآنى عند المحاجة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة فصلت: الآية ٣٤].

وأن يقتفوا طريق الفقهاء فى إدارة الاختلاف، فيما قاله أبو حنيفة: «علمنا هذا رأى فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه»، وفى مقولة الشافعى: «رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب».  
وما لم يتحكم الطرفان إلى هذه الأسس فى التعامل مع اختلافاتهم الفكرية ورؤاهم المذهبية، فإن ثغرات الجاهلية ستتفاقم، ونزعات الاختلافات ستتحوّل إلى خلافات ذميمة وممارسات غير مشروعة، تقود إلى مزيد من الفوضى والانقسام والطائفية مما يلقى بظلاله على مجمل العلاقات بين فئات المجتمع، ويقوض البنية الأساسية لصرح الوطن والأمة.

## تيار الوسطية

ذلك التيار الذى يعتمد منهج الإسلام الصحيح، فى التوفيق بين العقل والنقل، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وينطلق من الأصول الإسلامية للوفاء بمتطلبات الحاضر والمستقبل.  
هذا الفكر الوسطى، يتخذ من النصوص القطعية فى القرآن والسنة، واجتهاد وتجديد المسلمين فى الدين والمدنية والحضارة نقطة ارتكاز لبناء الحاضر واستشراف المستقبل.

فهم لا يبدءون من نقطة الصفر، ولا يصادرون هوية الأمة، ولا يفرقون في الماضى، ولا ينبطحون للحداثة والمعاصرة، إنما يبنون على صحيح الإسلام للدين والدنيا ويعيشون العصر على وعى بمتطلباته ويعملون للمستقبل، بآماله وتطلعاته المرتقبة.

### ملامح الفكر الوسطى ومرتكزاته

يؤسس هذا الفكر منهجه على أصول الإسلام فى الجمع بين النص والعقل. فالنصوص المحكمة القاطعة فى دلالتها على الحكم الشرعى فى المسألة أو القضية يتعين الالتزام بها وعدم التفلت منها وأغلبها كائن فى أمور العقيدة والعبادة وأقلها فى شئون الحياة، ومناشطها العامة. فأمور العقائد، المتعلقة بأصول الإيمان بالله ووحدانيته والإيمان بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره، حق واجب، لا يوجد إسلام بدونها كونها من قواطع الدين. ومن الواجب المفروض كذلك أداء العبادات، التى تمثل أركان الإسلام العملية كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وفاء بحق الربوبية وشكر الخالق المنعم على العباد. ومع ذلك فإن طريقة أداء هذه الفرائض قد تكون للعقل والاجتهاد فيه مساحة ومجال، حرصا على القيام بها، مثل استخدام الحساب الفلكى فى تحديد مواقيت الصلاة، ومعرفة بدء شهر الصيام. واستخدام البوصلة فى التعرف إلى القبلة فى الصلاة، والاستعانة بالمراسد وأجهزة المراقبة لتحديد مولد هلال رمضان.

ومثل ذلك معرفة مواقيت الصلاة والصيام فى المناطق القطبية واستعمال الحاسبات الآلية فى المسائل الخاصة بالزكاة، وتحقيق الأنفع فى دفع نصابها للفقراء والمحتاجين، فى ضوء ما طرأ على العصر، وطرق تنمية أموال الزكاة.

وفى الحج الاجتهاد لأداء الفريضة مع الحفاظ على النفس من الهلاك، وضمان جلال القيام بالشعائر بالخشية والرهبية، والشعور بالصفاء الروحى والسكينة الإيمانية، والنظام الإسلامى.

وهو ما استدعى التوسعة فى الصفا والمروة، وأماكن رمى الجمرات حفاظا على حق الحياة وقدسيتها الفريضة.

والنظر العقلى أساس لتحصيل الإيمان، فهو أول أساس وضعه الإسلام كما يقول محمد عبده<sup>(١)</sup> وهو وسيلة الإيمان الصحيح.

ترخم الآيات والأحاديث التى تحض على أعمال العقل، والتفكر فى الكون:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُمِرَ عَلَى قُلُوبِ أَفْعَالِهَا ﴾ [سورة محمد: الآية ٢٤].

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٨٥].

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩١].

وحديث الرسول - صلوات الله عليه: [ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل]<sup>(٢)</sup>.

وينظم أمر العقل فى الدين والشرع، حتى قال بعض العلماء: «إن إيمان المقلد لا يقبل». كما أن القدرة العقلية، والسلامة الذهنية، مناط وأساس

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ص ٥١.

(٢) أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة.

للتكليف بأحكام الشرع ، إذ لا تكليف على غير عاقل أو من فقد عقله لعارض أو طارئ ألم به : يقول الرسول ﷺ : [رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق]<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الجمع بين ثوابت الدين ومصالح الدنيا

فالدين والدنيا قرينان متلازمان لا يفترقان ، وإذا كان الدين هو أساس الخليقة ، وسبب الوجود ، وعبادة الله هي واجب ومهمة الإنسان في الكون : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : الآية ٥٦]. فإن على الإنسان أن يعرف حق الربوبية ، وجلال المنعم بأن يعبده ويوحده لا يشرك به شيئاً .

فإن تنمية الكون وعمارة الحياة ، هو الذى يكفل تحقيق الإيمان والعبادة ، فغير الواجد ، وغير القادر على الحصول على مقومات حياته واستمرار بقائه لن يستطيع القيام بالفرائض والواجبات ولا يجوز الاستغراق فى أركان وفرائض الدين ، وهجر أو ترك الدنيا ، بل العيش بهما على السواء ، فالجمع بينهما مطلب شرعى ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص : الآية ٧٧]. وفى الأثر [اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً].

وإنما كان مقصود الشرع فى تحصيل الحياتين الدنيوية والأخروية بموجب أن ذلك لازم للحفاظ على كيان الإنسان ومادته ، الروح والبدن ،

(١) سنن النسائى ، كتاب الطلاق ، باب ١٢ .

المعاش والمعاد ، وأنه لا قوام للإنسان بدونهما ، ولا استمرار لوجوده بدونهما .

من أجل ذلك شدد الإسلام على الجمع بين الإيمان والعمل فالصدق والنظافة والإخلاص والنظام من دعائم الإيمان وحفظ النفس والمال والعقل والنسل أو العرض من مقاصد الشرع ، والاقتران تحت ظلال عقد الزواج الشرعى والالتزام بالحقوق والواجبات ، هى من الثوابت فى الدين ومن المصالح التى لا يستقيم نظام مجتمع أو حياة الناس بدونها .

وتحقيق ذلك لكل الناس والأمم بلا تفرقة ولا تمييز فهى مطلب إنسانى ، غاية الأمر أن منهج الإسلام فى الوفاء بهذه الواجبات ، يكون بقدر وعلى أساس التوازن بين المصالح الدينية والحياتية أن كلا منهما يتكامل مع الآخر وأصل له لا ينفك عنه .

ولم يكن الدين الإسلامى فى المسجد أو للإيمان والعبادة فقط وإنما هو دين الحياة وللإنسان ، والقائل بغير ذلك هو جاهل بطبيعة الإسلام أو غير فاقه لجوهره وأسراره ، أم معاند ومغرور ، غير حريص أو لا يأبه بمعرفة حقيقة هذا الدين ، الذى جاء على مقتضى فطرة الإنسان وطبيعته المركبة : ﴿ فَطَرْتَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْقِيَامِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم : ٣٠] .

\*\*\*

## الإسلام الحضارى فى مصر

ستظل مصر كنانة الله فى أرضه ، بلد الإيمان والأمان ، وعنوانا محفورا فى الذاكرة وفى جبين الزمان على الحضارة الإنسانية المرتكزة على قيم الإسلام فى التعايش والتسامح والتماكك المجتمعى ، وصرحا شامخا لوطن يقدم نموذج التعددية الدينية فى إطار الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى.

هذه الأسس الدينية والوطنية والمجتمعية ، ليست أمرا عارضا فى المسار المصرى ، وإنما هى هوية أصيلة ، وعقيدة راسخة فى أعماق المصريين جميعا على اختلاف أديانهم وفكرهم ورؤاهم فى توجهاتهم وسلوكياتهم التى تحمل ذلك الموروث الحضارى الذى ينبثق من الدين ، ويشكل مجمل أعمالهم وتصرفاتهم فى شئون الحياة جميعا ، فلا انفصال للعقيدة عن الواقع المصرى ، وإنما امتزاج والتئام ووثام.

إن أمة تؤمن بهذه الأصول والقيم الجامعة ، هى أمة قوية ناهضة بلا شك ، لا تؤثر فيها أحداث طارئة ولا تفت فى عضدها تصرفات طائشة من هنا وهناك ، ولا يثنيها ذلك بحال عن قضاياها المجتمعية ودورها القومى فى محيط أمتها العربية والإسلامية ، وعلى الصعيد العالمى.

لكن تلك المكانة السامقة ، وذلك الدور الذى يعد معلما من معالم الشخصية المصرية المتفردة ، على المستوى الشعبى والرسمى ، يبقى حاضرا وقائما فى المشهد الوطنى وعلى الساحة الدولية ، طالما اعتصمت هذه الشخصية وتمسكت بحقائق الدين الصحيح ، كانت فى فهمها

لأمر الدين والتدين تجسيدا لإيمان مركز في أعماق نفسها ينطبع على سلوكها ويرتقى بحياتها وينهض بوطنها، وفي ذات الوقت لا يفرط في ثوابتها ولا يخلعها من جذورها الإيمانية التي تبرهن أحداث التاريخ وتعاقب الأجيال في هذا الوطن على أنها الحصن والملاذ ضد من يتآمر على أبناء هذا البلد الطيب، يمثل القوة الحقيقية الكفيلة بمواصلة مشوارها كدولة ناهضة وقائدة في مصير ومسار أمتها العربية والإسلامية، ونموذج إيجابي وبناء في العالم المعاصر.

ويخطئ قطعا ويقينا من يشكك في عطاء أرض الكنانة للإسلام، وانتمائها لحقائقه وثوابته، ويشهد على ذلك الطريق الوسطى الحامل لجوهر الإسلام في الاعتماد على القرآن والسنة، والذي تبناه الأزهر في ضمير وواقع الأمة المصرية والعربية والإسلامية، وتعمل على أساسه وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ودار الإفتاء وفق منظومة جامعة مرتكزة على صحيح هذا الدين وعلى هدى من النص والعقل في غير غلو ولا تفريط، ولا جمود على النص أو مصادرة له، ودون اشتطاط في الفهم وانفلات عن المقاصد والغايات، وفق الحقيقة المقررة: صريح المنقول لا يتعارض مع صحيح المعقول.

ويبقى الماضي والحاضر والمستقبل بمشيئة الله برهانا صادقا على أن مصر الأزهر وفيه لهذا المنهج الذي جعلها قبلة العلم الديني المعتدل بآفاقه الرحبة في دراسة الفرق والمذاهب في علم الكلام، مذهب أهل السنة والمعتزلة والفرق والنحل الأخرى، بما يغرسه من تكوين وتمكين لأصول الدين الصحيح وكذا دراسة المذاهب الفقهية، سواء المذاهب

السنية الخمسة الحنفى والمالكي والشافعى والحنبلى والظاهرى ، ومذهبي الشعية الإمامية الجعفرية الاثنا عشرية ، ومذهب الشيعة الزيدية ، وكذلك المذهب الإباضى ، وهو المنهج الذى شكل شخصية ثرية منفتحة على فكر الآخر ، متسامحة فى رؤيتها ورؤاها ، وتؤمن بحق كل شخص وجماعة فى التعبير عن فكرها ، بعيدة عن التطرف والانغلاق فى تسييرها للأمور. ولم يقتصر أثر هذا النهج على الفكر والعقل ، وإنما امتد إلى الواقع والسلوك فأفرز تسامحا وأخوة دينية ومجتمعية بين المسلمين والمسيحيين على مدى العصور والأجيال ، وأنتج تعايشا آمنا مطمئنا بين عنصري الأمة ، فوجد نسيجها منذ وطأ الإسلام أقدامه على تراب مصر ، ووعى المسلم قول الحق تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨٢] فهذه المودة والألفة هى مادة التعايش بين المسلم والمسيحي على أرض الكنانة.

ومنذ النشأة الإسلامية الأولى ، لم يكن هذا التعايش قائما على الشعارات وترديد النصوص التى تقيم أسس الشراكة الدينية والوطنية فقط ، وإنما أيدتها وتزامنت معها مرتكزات قيام مجتمع سليم ، نقتطف منها انتصار الخليفة عمر بن الخطاب لحق القبطى الذى شكى إليه واليه على مصر ، عندما ضرب ابن عمرو بن العاص القبطى ، فحكم له عمر بأن يضرب ابن عمرو كما ضربه ، بل وقال له : اضرب عمراً نفسه ، فإنما ضربك بسلطانه ، فرد القبطى : «قد ضربت من ضربنى» ، ثم أطلق عمر مقولته النابعة من صريح نصوص القرآن والسنة : «متى استعبدتم الناس

وقد ولدتهم أحرارا» وكان ذلك قبل الثورة الفرنسية وشعاراتها المعروفة : الإخاء والحرية والمساواة، وقبل أن يصوغ فلاسفة ومفكرو النهضة الغربية الحديثة نظرياتهم التي يتأسس عليها نظام الحكم والاجتماع السليم، نذكر منهم روسو، ومونتسكيو، ولوك، قبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق الدولية التي تتجاهل ذلك الإنجاز الإسلامي الذي كان أحد نماذجه ما وقع على أرض الكنانة.

كانت المشاركة المجتمعية للمصريين جميعا وبناء علاقاتهم فى أجواء آمنة يظلها التسامح، والالتفاف حول مصحلة الوطن هو القوة الفولاذية التي تحطمت على صخرتها كل محاولات الوقيعة والفتنة، وهى الضمان فى ذات الوقت لأن تتبوأ مصر موقع الريادة ويشار إليها بالبنان فى ثبات خطواتها، وكونها النموذج الذى يتبع فى عمق الفهم المستنير للدين والوعى بحقائق الاجتماع الصحيح، والعمل البناء لتحقيق المصالح الحياتية فى ظلال الأمان الذى بشر به القرآن الكريم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية ٩٩]. ولا شك أن الشعب المصرى بمسلميه ومسيحيه، وبقيادة المؤسسة الدينية الأزهر والأوقاف والإفتاء والكنيسة الأرثوذكسية والكنائس المصرية الأخرى تقوم بمسئولياتها فى قيادة هذه المسيرة الطاهرة، وبوعى القيادة والاستنارة المجتمعية، وحرص الجميع على المصلحة القومية، يستطيع أن يجهض أية محاولة خبيثة وماكرة للنيل من وحدة هذا الوطن، وأن يجعل من الهوية الدينية للمصريين ركيزة للتماسك الاجتماعى والانطلاق على طريق التقدم والريادة، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

وعلى الجانب الآخر، فإن قوة مصر تتكامل بعطائها ومساهماتها الفاعلة في قضايا أمتها العربية والإسلامية، وهو جزء لا يتجزأ من انتمائها لدينها وعالمها العربي والإسلامي، ولم ولن تنسى مصر واجبها على ذلك الطريق، باعتباره قدرًا مقضيًا وواجبًا عليها يشهد عليه التاريخ والواقع المعاصر.

\*\*\*

## ترسيخ دين الوسطية

الدين الإسلامى خصه الله تعالى بأن يكون ختام أديان السماء، ونهاية المطاف فى الرسالات الإلهية للإنسانية جمعاء، والأصل الجامع لهذه السلسلة الذهبية فى هداية الله للبشرية عبر الرحلة الطويلة لسيرة ومسيرة الفرد والأمم الضاربة فى أعماق الزمان والمكان، منذ أن كان الإنسان يهيم على وجهه فى الضلالات وتسيطر عليه الأهواء والنزعات، ويدور فى فلك الظلمات والجهالات إلى أن جاءه الله بالدين ليملأ حياته بالهداية والنور فأشرق قلبه وعقله على تجليات الله فى الكون، وتفتحت بصيرته على حقائق العبودية لمالك هذا الكون وسيده ومولاه، فاستشعر جلال الإله الأعظم، وانقشعت الغشاوة من على بصره وقلبه، وذلك هو النبع الصافى لرسالات السماء.

أدرك الإنسان موقعه فى هذا الملكوت الواسع بين السماء والأرض، كمخلوق أنعم الله عليه بالعقل ليدرك سر الوجود حوله، ويتعرف إلى نعم العطاء الإلهى فينغرس فيه الإيمان بالخالق الواحد الذى سخر وهياً له كل هذا الوجود بما فيه من كائنات وموجودات، فيوقن بجلال المعطى المانح، فينقاد إليه مسلماً الوجه لله، مخلصاً العبادة له، عن يقين وثقة وتسليم.

صاغ الإسلام جوهر الأديان جميعها فى تجلياته الدينية، وبلور العمدة الأساسية التى شيدت عليها بلا إفراط ولا تفريط وبلا انحراف

ولا تزييف، فقد جاء مصدقا للأديان السماوية اليهودية والمسيحية، كاشفا عن كنوز رسالات الأنبياء كلهم بدءا من أول هذه السلسلة من نوح وإبراهيم أبى الأنبياء إلى موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، فأحكمت به الرسالات واكتملت به الهدايات فكان العاقب الذى لا نبي بعده.

وجاءت معجزة المعجزات القرآن شاهدة على صدق الأديان الإلهية والبعثات الرسولية لرسول الله إلى الناس: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى: الآية ١٣].

وإنما نص هؤلاء الرسل دون إخوانهم ممن بعثهم الله للخلق باعتبارهم أولى العزم بين الرسل والأخيار منهم، وأقواهم قياما على أمر الله، وأكثرهم معاناة وجلداً وصبراً فى الجهاد لهداية الخلق ونصرة الحق. يشير هذا البلاغ القرآنى الجامع للأديان، المعترف بنبوة قادة الرسل أولى العزم أن الإسلام جاء ليجمع الناس والأتباع على مبادئ الدين القويم، فهو يؤمن ويصدق بما جاءت به من تصحيح العبادة بالله الواحد الأحد وطرح المفاهيم الخاطئة والمغلوطه عن صاحب هذا الوجود، رب الملك والملكوت، ويأمر المسلمين بأن يؤمنوا بالرسول والكتب والملائكة واليوم الآخر، وتلك هى صورة الدين كما أرادها الله، إنه يجمع ولا يفرق، ويصحح ويسد ليلتقى مع الأديان والرسالات فهو لا ينكر ديننا منها، وإنما يقرها ويؤيدها ويقيم صروحها ويشيد عمدتها جميعا فى منظومته الدينيه.

وعلى وفق هذا المعلم الرئيسي أعلن رسول الإسلام ﷺ عن مكانته ووضعيته بين الأنبياء والرسل فيما روى عنه ﷺ «إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فجمله وحسنه إلا موضع لبنة، فصار الناس يطوفون ويقولون: لولا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

وهذا المنظور القرآني والنبوي هو تأسيس لطريق الإسلام في الدين والحياة على منهج الوسطية الذي يرفض الجمود والغلو، ويتخذ مكانة كأصل للوسطية في الفكر والحياة، وعنوانا على السداد والمقاربة في غير تفريط في ثوابت الرسالات وحقائق الإيمان.

وهكذا تتضح رؤى الدين الإسلامى، كدين يحمل التجليات الإيمانية للأديان السماوية، فيعرف بها ولا ينفى أيّا منها، ويقر بنبوة رسلها، ولا يجحد دور أى منهم، ويطلب إلى الناس جميعاً أن يعتنقوا هذا الإيمان بالدين، لما يؤدى إليه من التفاهم والتآلف والتعايش، والأمر الذى يجعل من واجب المسلمين أن يتعايشوا مع المخالف، وأن يحترموا ما يؤمن به، فلا يتنافروا أو يتناكروا له، كحق اختياره لنفسه. هذا التأصيل للدين يجعل الأديان سبيلاً للتلاقى والاجتماع والتعاون، وليس كما يروج الملاحدة واللاذينيون أنها وسيلة التفرق والخلاف والتنازع والصراع، أو ما ينادى به دعاة فكر الهيمنة والاستعلاء والصدام والمواجهة بين الأديان والثقافات والحضارات، كما يعبر عنه فكر العولمة الجديد، الذى عبر عنه صمويل هنجتون فى كتابه: «صدام الحضارات» ومن سار على دربه، وروج لأطروحاته وهم كثير.

ولا شك أن هذه المقولات والدعوات تتعارض تماما مع أصول الإسلام وطريقته في الحياة ورسالته للناس، ففكرة الدين أوجزها الرسول ﷺ بقوله: «إن هذا الدين يسر»، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة» والمراد بسددوا أى الزموا الحال أو الطريقة الوسط، والتقريب يكون بالتوسط، والتقريب يكون بالتوسط بين طرفين، فيكون الإلحاد وإنكار الدين مرفوضا ومعارضاً للفطرة السوية، والانحصار في فكر الاستعلاء والاستكبار بغیض وممقوت ويؤدى إلى سحق الآخر وإخضاعه بكل سبيل.

وفى المقابل يكون الجمود على فكر يدعو فيه بعض أدعياء العلم أن على المسلم أن يهجر الحياة، ويرفض الناس، ويكفر أهل القبلة، بزعم أنه يفر من الغواية والآثام والشرور، وبدلاً من أن يسعى لعمل الخير والزود عن طريق الحق والعدل والرشاد، وهو مسلك ينطوى على انحراف وهروب من مواجهة الواقع وتصحيح المسيرة والجهاد فى الحياة، وأباطيل وزیغ عن الفهم الصحيح للدين.

يؤكد هذه الطريقة كما يعلمها الرسول ﷺ لأرباب العلم من الأمة، بقوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدولة، ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين».

وفات هؤلاء الذين يحسبون أنهم الأوصياء على الإسلام المحتكرون للفهم الصائب والسديد فيه، أن صنيعهم فى التعصب للرأى وتكفير أو تفسيق المخالف أو معاداة أصحاب الدين الآخر، يناقض صحيح الإسلام، ويورطهم فى ذنب عظيم، فالإسلام مصدره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإيمان بالوحدانية، والشهادة لمحمد بالرسالة.

فهذا كاف في الانخراط ضمن جماعة المسلمين، كما أنه غفل أو جهل بقول الراسخين من أهل العلم، فقد ذهبوا إلى أن المسلم إذا قال قولاً يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل حاله على الإيمان والإسلام «كما أشار إليه أبو الحسن الأشعري».

كما فهموا أن الإيمان لا يكفي أن يضم بين جنبات المؤمن، ويبقى في أعماقه، دون دليل عليه من العمل الصالح للدين والدنيا، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، وهو ما يؤيده فكر الوسطية والتوازن في الدين والدنيا، وبين الإيمان والعمل.

فالمسلم مأمور بأن يعتصم بإعلاء شعار الإيمان الحق وهو لا إله إلا الله، والعمل من أجل إصلاح حياة الناس، يقول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق».

\* \* \*

## دعاة الفتنة

يصاب المسلم بالحيرة، وتنتابه حالة من التوهان والتشكك من هول ما يسمعه وما يشاهده من أحداث جسام تقع من رجال يقومون بالدعوة إلى الإسلام وسط أجواء غاية في الصعوبة على الوطن والمجتمع، لما تنطوى عليه من ممارسات عدوانية ضد الأفراد والمنشآت، تسبب الفزع والرعب بين جموع الناس، وكأنهم ناطقون بالحق الإلهي يتمثل ذلك في صراعات تيارات مذهبية تتزاحم على الفوز بتأييد جموع المسلمين، حول الفكر الذي تدعو إليه في قضايا فرعية، ومسائل أخلاقية، يحاولون فرضها على الناس، توصلا إلى طموحات وأغراض دينوية وأهواء شخصية، وكأنها نذير الفتنة التي حذر منها الرسول ﷺ [عن حذيفة بن اليمان، كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال نعم، فقلت له هل بعد هذا الشر من خير؟ قال نعم، وفيه دخن، قلت وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم: دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها فقلت يا رسول الله: صفهم لنا؟ قال نعم: هم قوم من جلدتنا أي من أنفسنا وعشيرتنا ويتكلمون بألسنتنا، فقلت يا رسول الله: وما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة وإمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق

كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك<sup>(١)</sup>.

فلا تعباً هذه الجماعات الإسلامية بما تحدثه من بلبلة وتشويه لدين الفطرة، ولجئوها إلى أساليب لا تتفق وصحيح الدين تثير الفتنة، وتنشر الرعب والفرع في أوساط الناس.

إن رعوس هذه الجماعات التي تتحرك يمينا وشمالا، تتحمل المسؤولية أمام الله والأمة عن الخلل والاضطراب والفتن التي تسفر عن دعواتها، والغريب أنها تتزاحم كل منها مع الأخرى بغية إزاحتها من طريقها والانفراد بالساحة وحدها.

وهو ما نجده في بروز دعوات جماعة السلفية والصوفية والإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية والقرآنيين وغيرهم، وهي إذ تحرص على تحقيق أهدافها ترفض أو تتباعد عن بعضها البعض، متلفتة عن أصول الإسلام وثوابته.

وكأن هذه التيارات تراهن على تفتيت الصفوف، والانشقاق عن الجماعة وأهل السنة الذين ينحازون إلى الإسلام بالفطرة، ويقومون على الأركان والشعائر، يؤمنون بالله ربا وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالقرآن دستوراً وهو إيمان الفطرة الذي يسأل المسلم ربه أن يرزقه إياه. والمتابع للمشهد الراهن، لحال المجتمع والأمة، يجد دعوات هنا وهناك تكرر الفرقة والانقسام، بين أبناء الدين والوطن وتكشف عن التشرزم والطائفية إلى حد يثير الشكوك والبلبلية.

(١) صحيح مسلم - كتاب الإمارة رقم ٢٣١.

وهذا الوضع أدى بالعلمانية واللادينييين إلى ترويج مقولات زائفة ،  
تمس دعامة إسلامية أن هذا الدين جاء بفكر التوحيد والجماعة ، وأنه  
حرب على الفرقة والتشيع ، بل ويشوه معلما إيمانيا وقيمة حضارية ،  
وكأن الدين دعوة إلى الانشقاق والخروج عن رابط الجماعة والحروب  
المذهبية .

ابتليت المجتمعات الإسلامية بفكر خوارج جدد يتصدرون المشهد ،  
منطلقين من جماعات ترفع شعارات مذهبية باسم الإسلام تعمد إلى  
فرض الرأى والتعصب لفكر بذاته ، تحت ذريعة إنكار المنكرات ،  
وتخليص المجتمع من الشرور والموبقات بالقوة والعنف ولو أدى ذلك  
إلى الفتنة وتعميق الفرقة ، وانتهاج طريق المواجهات وما يؤدي إليه من  
زعزعة الاستقرار فى المجتمع ، وما ينتج عنه من إراقة الدماء .

ويسوق هؤلاء تبريرا لأفعالهم فى الانقراض على الأمن والسلام ،  
باستخدامهم العنف فى أنهم يعملون على تطهير المجتمع من الشرك  
والجاهلية ، وتنقية الدين من البدع والخرافات ، لتبرير سلوكياتهم  
التي تتسم بالغلو والشطط ، وشغل الناس بالمسائل الفرعية والدعاوى  
الخلافية ، وصرف المسلمين عن القضايا الكلية والثوابت الدينية ، وما  
يبعث على نهضة الأمة وقوتها وريادتها بين الأمم .

وهم فى هذا الطريق يرمون المجتمع بالغبوية والضلال وأنهم بذلك  
يعيدون الأمة إلى حظيرة الإسلام ، فهم الملاذ والإنقاذ الذين أوتوا العلم  
والحكمة والرشاد فى الأمر غير مكترثين بالسواد الأعظم والجماعة ، لأن  
جمهور المسلمين لا سبيل لهم للنجاة والعودة إلى حظيرة الإسلام إلا  
بالانخراط فى جماعتهم وسلوك سبيلهم ورفع شعاراتهم

فهذا الجمهور الأعظم لا وزن له عندهم، وإن كانوا هم الجماعة والسنة وقد سئل الإمام مالك عنها فقال: «أهل السنة ليس لهم لقب يعرفون به»<sup>(١)</sup>.

ومكمن الخطورة في مسلك هذه الجماعات أنها تمارس فكرها باسم الدين، بما يضيفى القداسة ويوجب الطاعة ويحيى مبدأ الدولة الدينية فهي تحتكر تفسير النص الدينى، وتقدم نفسها على أنها حامية الدين، ومالكة ناصية فقه الشريعة، ووصم جمهور الأمة بالضلال والانحراف عن طريق النجاة والإنقاذ، ونعتهما بالفسق والعصيان والتكفير.

وقد كثرت هذه الجماعات الداعية إلى فكر المذهبية والفرقة الطائفية فى الآونة الأخيرة، وتعددت أسماؤها، واتخذت أسماء ونعوتاً تحوز الاحترام والمرجعية، وإن سلكت مسالك بعيدة عن جوهر الدين، ووسطيته، واعتداله، وتشعبت بالإسلام إلى دعاوى تنحرف به عن سماحته ويسره. أفلا يعقل هؤلاء الفرقاء، أنهم بصنيعهم فى أنهم الأمناء وحدهم على الإسلام الفاقهون دون سواهم لنصوصه، أصحاب الحق فى الأمر والنهى وإقامة الحدود الشرعية، يغتصبون سلطة الدين، ويعيدون المسلمين إلى مجتمعات الفوضى، وينحرفون عن إسلام الرحمة والسماحة إلى دين قسوة وعنف وصراع وكراهية.

فما بال هذا الخلل الذى يطفو على الساحة، ويعتنق فكر الغلو والتشدد والتطرف والتعصب فى المجتمعات الإسلامية الحديثة لا يدرك تأثيراته السلبية فى إعاقة التقدم، وأنه عنوان على التخلف والانهازمية فى العالم الإسلامى؛ فالساحة مليئة بالنعرات والأفكار الدائرة فى حلقة

(١) رواه ابن عبد البر.

مغلقة يصارع كل طرف منها الطرف الآخر، يبغى الزعامة والشهرة وتحقيق مطامع دنيوية خاصة، ليس لنهضة الأمة فيها نصيب، وليس أضر على الأمة وأدعى إلى إثارة النزاعات فيها من شق صفها، وبلبلة فكرها وتمزيق وحدتها، وإشاعة الفتنة فيها بآراء مذهبية والتخندق حول أقوال خلافية، بغية حمل الناس على الإلتزام بها، واعتبارها الحق الذى لا مغزى عنه، والالتجاء إلى التخويف والتهديد والوعيد والقهر كوسيلة لفرضاها، وكأنها دين حادث الأمة عنه، والصواب الذى يتعين المصير إليه عندهم وحدهم باعتباره طريق الخلاص من الشرور والآثام وطوق النجاة والصلاح.

وموقف الإسلام من الفتنة والطائفية معروف مشهور إذ إن «الفتنة أشد من القتل» فقد حذر الإسلام من دعاوى الطائفية، ونهى عنها بنصوص قطعية، وأدان أصحابها وتوعدهم بالخسران والعقاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٣].

وفى حديث الرسول ﷺ [من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة الجاهلية]<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة - باب الأمر ببلزوم الجماعة عند ظهور الفتن

إن ما يجرى على الساحة من التعصب لأراء مذهبية واجتهادات فردية، هو التنطع والجمود الذى ينافى الاجتهاد الذى هو طريق فهم النصوص وبيان دلالتها وحكمتها وبه كان ثراء الفقه، وتحقيق المصلحة العامة. لكن يسعى هؤلاء إلى فتح أبواب جهنم وإراقة الدماء، وتوجيه الأمة الوجهة الخطأ وإيقاعها فى الخطيئة.

وما درى أصحاب هذه الفرق - الخوارج الجدد - أنهم ينفرون الناس عن الإسلام ويطمسون معالم الرحمة فيه، بسلوك سبيل التفسير والتشديد وهذا ما حذر الرسول ﷺ من الانزلاق إليه والتردى فيه: هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً.

وأكد على أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى".

ولم يفقهوا تنبيه الرسول على أن الدين فيه العصمة من مفسد الفرقة والفتنة والفشل والهزيمة، ويتأتى من خلال لزوم طريق الجماعة، كما أنه كشف الحجب وشدد على خطر الفرقة فى الدين، وأن فيها الهلاك والفتن. [افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة، والذى نفس محمد بيده لتتفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة واثنتان وسبعون فى النار. قيل يا رسول الله من هم قال الجماعة]<sup>(١)</sup>.

وهى الجماعة التى تعتم بهدى القرآن والسنة وتنخرط فى زمرة المجموع، وتسلك سبيل الوحدة والائتلاف وتؤمن بالسلام الاجتماعى،

(١) صحيح ابن ماجه كتاب الفتن، باب ١٧، ح (٣٩٩٢).

والسماحة فى بناء العلاقات بين الأفراد والإخوة بين جماعة المؤمنين ، وأن الإسلام جاء للتوحد وجمع الشمل ، وترسيخ السكينة والأمان ، وأنه دعوة إلى الإيمان ، وثورة على الفساد والاستبداد ، وهو شريعة التمسك بالحق والعدل والكرامة والحرية ، وهى أصول دينية قبل أن تكون حقائق للاجتماع الإنسانى .

### أسباب تفشى الطائفية والعنف:

- الأمية الدينية والأميات الأخرى .
- قصور التربية الدينية .
- غياب ثقافة الجماعة والعمل بروح الفريق .
- التخلف الاقتصادى .
- ضعف التربية المجتمعية وفكر الانتماء .
- تغيب الحوار المجتمعى .
- الغزو الفكرى .

### السلفية نموذجاً

السلفية الحديثة قامت على دعوة محمد بن عبد الوهاب فى عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية ومن آرائه : إن المسلمين قد رجعوا إلى الوثنية الأولى بتعظيم الأضرحة والقبور ، وصرف العبادة لها من دون الله . حكم على المتوسلين إلى الله بالأولياء والمشاهد بالشرك الظاهر الجلى<sup>(١)</sup> . السنة المطهرة والحديث الضعيف مقدم على الرأى . تعطيل أسماء الله وصفاته بالتأويل .

(١) محمد عمارة ، السلف والسلفية ، ٢٠٠٨ ، ص٥٦ ، وزارة الأوقاف .

قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، ونفى الشفاعة والتوسل.

كان يصف من يستغيث بالرسول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَنَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٣٩].

وفى تفسيره للشهادة بالوحدانية والرسالة، يقول: فإن لا إله إلا الله: نفى وإثبات، فلا إله تنفى جميع المعبودات، «وإلا الله ثبت العبادة لله»<sup>(١)</sup>.  
ومن أصول الإسلام عند عبد الوهاب:  
لا يدعى إلا الله.

ولا يذبح ولا ينذر إلا له سبحانه.

وأن التبرك بالرسول والأولياء والصالحين ضلال وزور وبهتان.

ويؤيد قوله بآيات من القرآن: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سورة يوسف: الآية ٤٠].

ومن عقيدة الإيمان أن الله نزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكبير والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل فهو صاحب الجلال بلا عديل ولا نظير بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات: الآية ١٨٠].

ويبرأ من عبادة ما سوى الله كائناً من كان، ويقدم الحجة على ذلك: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٥٩].

---

(١) الشيخ محمد عبد الوهاب: عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامى آل بن علي، ص ١٠، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْمَعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [سورة فاطر: الآية ١٤].

وماروى من حديث: «لولاك لولاك، لما خلقت الأفلاك» فهو حديث باطل. كان ابن عبد الوهاب يصور حال المسلمين بما يصدق عليهم: الحديث الصحيح: [لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم] (١).

وحديث: [لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان، وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى] (٢).

وحديث: [بدأ الإسلام غربياً وسيعود كما بدأ غربياً فطوبى للغرباء] (٣).  
المجاهرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واستخدام القوة. إقامة الحدود، حتى أقام الحد على امرأة اعترفت بالزنا. هدم الأضرحة والمزارات، فهدم قبة على مقبرة زيد بن الخطاب. وهذا الصنيع في إثارة الفزع بين المسلمين، بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يدخل في المنهيات لما يترتب عليه من الأضرار والمفاسد، وينبغي أن يترك لولى الأمر، والسلطة العامة، وهو ما نص عليه ابن تيمية: «وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه، مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق، أو يجلد الشارب ويقيم الحدود، لأنه لو فعل

(١) صحيح البخارى، كتاب الاعتصام بالكتاب، باب ١٤ ح (٧٣٢٠).

(٢) رواه الترمذى حديث رقم ٢٢١٩، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب ٦٥ ح (٣٨٩).

ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد، لأن كل واحد يضرب غيره يدعى أنه يستحق ذلك، فهذا ينبغي أن يقتصر فيه على وليّ الأمر» حتى لا تعم الفوضى، وينتشر الخوف بين الناس.

ويؤكد ابن تيمية على أن الأمر بالمعروف لا يكون إلا بالمعروف بقوله: «وإذا كان هو من أعظم الواجبات أو المستحبات. فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصالح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم الفساد والمفسدين في غير موضع».

\* \* \*

## الأزهر وبعث النهضة

يمضى الأزهر الشريف فى موكب الخلود، يتصدر قافلة النهضة للدولة المصرية ولشعوب العروبة وأمة الإسلام، مرتكزا على أصول الشريعة وثوابتها القطعية، ومقاصدها الكلية فهو بما لديه من سجل ناصع فى خدمة الدين والعلم والمجتمع وما يقدمه من إسهامات علمية وحضارية ومجتمعية، تتجلى فى نقل فكر الإسلام من معينة الصافى فى علوم العقيدة والشريعة، واللسان العربى، وفى اتصاله بعلوم ومعارف العصر العلمية والتقنية والإنسانية.

ولقد كان لجهود شيوخه وأئمنه الأعلام النصيب الأوفى فى بعث الروح الإسلامية فى النفوس، ورسم معالم الطريق، وبيان هدى الإسلام فى قضايا الدين والعلم والوطن، يجدد أمر الدين، ويتبنى الوطن، ويعبر عن هموم أمة الإسلام، ويقود مسيرتها فى أحلك الظروف وأصعب الأوقاف، يبصرها إلى سلوك الطريق القويم، ويضع لها خطة ترسم المعالم التى تهتدى بها، وتحدد البرامج والخطوات لتصل إلى ماتصبو إليه من التقدم والنهضة.

وفى سجل الأعمال الخالدة، قدم الأزهر مبادرته حول الدولة المصرية من منظور الشريعة الغراء، ورؤى العلماء والنخبة المثقفة، وتطلعات المصريين بعد ثورة ٢٥ يناير، وعلى هدى عطاء ومنجزات دولة الإسلام عبر تاريخ ناصع فى تعايش سلمى بين البشر على اختلاف.

أديانهم وأجناسهم وقومياتهم ومراكزهم الاجتماعية وفى أجواء من حرية الفكر وإبداع العقل، وحصاد علمى فى العلوم والفنون والحضارة. فى ضوء ذلك أصدر الأزهر وثيقة حول مستقبل الأمة، نعرض لأبرز نقاطها:

١ - أبانت وثيقة الأزهر طبيعة الدولة فى الشريعة، فهى دولة وطنية دستورية، وليست دولة دينية، كما قد يزعم البعض، فهى تقوم على دستور يتوافق عليه الشعب، يحدد إطار الحكم ويبين الحقوق والواجبات، على قدم المساواة، وأن يكون الشعب بإرادته الحرة، هو القائم على سلطة التشريع فى نطاق المبادئ العامة للشريعة، وبما يضمن تفعيل مبدأ المواطنة. ذلك أن إرادة الأمة معتبرة فى الشرع بحديث الرسول ﷺ لا تجتمع أمتى على ضلالة.. والاجتهاد طريق لاستنباط الأحكام فى الشريعة مع النصوص.

٢ - وتحسم الوثيقة رأى الشريعة فى النظام الديمقراطى فى صيغته الراهنة بالانتخاب الحر المباشر، وتعلن عن توافقه مع نظام الشورى الإسلامى، وتصفه بأنه الصيغة العصرية لتحقيق مبادئ الشورى، بما يضمنه من تعددية ومن تداول سلمى للسلطة، وإعمال سلطة الرقابة والمحاسبة، وتوخى منافع الناس ومصالحهم العامة، وخضوع الجميع لسيادة القانون حفاظا على الشريعة، ومكافحة الفساد. ومعلوم قيمة الشورى، فأمور الجماعة تجرى على الشورى والرأى الحر، يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى: الآية ٣٨] وكان النبى ﷺ أكثر الناس مشورة لأصحابه.

٣ - الإلتزام بمنظومة الحريات الأساسية فى الفكر والرأى يعتبر بندا رئيسا، فتشدد الوثيقة على احترام حقوق الإنسان ومبدأ التعددية واحترام الأديان السماوية والمقدسات الدينية: يقول تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: الآية ٦] ويقول عمر: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» ونلمس فى هذا البند التوازن ورعاية الحقوق والحريات جميعا للفرد والجماعة بعضها البعض. وكذلك الحرص على صيانة حرية التعبير والإبداع الفنى والأدبى بما لا يتعارض مع القيم الحضارية. لأنها اجتهاد عقلى تثرى به الحياة وتتقدم.

٤ - وتتطرق الوثيقة إلى تجريم الفتنة الطائفية والدعوات العنصرية باعتبارها جريمة فى حق الوطن، والتأكيد على حق الاختلاف والرأى الآخر شريطة الإلتزام بأداب الاختلاف واجتناب دعوات التكفير والتخوين، واستغلال الدين واستغلاله ستارا للتحريض على الطائفية وبث روح العدا بين أبناء الوطن وحل المشكلات من خلال الحوار المتكافل والبناء. فقد حرم الإسلام الفتنة وحذر من تداعياتها بقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٢٥] ودعا إلى الحوار: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥].

٥ - وتؤكد الوثيقة على احترام كرامة الفرد والأمة المصرية، والمحافظة على العزة الوطنية، وقدسسية دور العبادة، وضمان الممارسة الحرة للشعائر الدينية.

والكرامة فى الإسلام للناس جميعا، لقد كرمنا بنى آدم فلا فرق بين شخص وآخر على الإطلاق.

ولا شك أن فى تحقيق الكرامة للفرد والعزة الوطنية، وصيانة دور العبادة وتمكين المؤمن من أداء شعائر دينه، فيه إحياء لنفس الإنسان وضميره، وأمان وسلام بين أبناء الوطن، وجماعة المؤمنين.

فهذا دأب مجتمع المؤمنين فى الأمن والسلام: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٨٢].

٦ - توجيه الجهود نحو التنمية والبناء عن طريق تفجير طاقات المجتمع وإبداعاته فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تأسيسا على فقه الأولويات التى تجعل العمل والتنمية هى قاعدة الانطلاق إلى التنمية، وتحقيق مطالب المجتمع، وفقا لمبدأ العدالة الاجتماعية ورعاية الفقراء ومحدودى الدخل، وتوفير فرص العمل للمواطنين. فقد خلق الله الإنسان ليبنى وينمى الكون، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكَ فِيهَا﴾ [سورة هود: الآية ٦١]. يعنى طلب منكم إعمارها.

٧٧ - دعم علاقات مصر فى محيطها الجغرافى والإقليمى والإسلامى، بواسطة إقامة علاقات متينة مع بلدان العروبة، والقارة الإفريقية، والعالم الإسلامى، والانفتاح على المجتمع الدولى والنظام الأسمى، والمشاركة فى المسيرة العالمية والجهود الإنسانية، إيمانا بعالمية الرسالة الإسلامية على أساس التكافؤ والاستقلال والمصلحة، وهو مجمل الرسالة الإسلامية فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

٨ - متابعة الإلتزام بالمقررات الدولية والمواثيق العالمية، والتعاون

على ما فيه الخير والمصلحة للأمم والشعوب، تأكيداً لمطلب الشريعة في إرساء دعائم السلم والأمن الدوليين.

ذلك أن الإسلام يوجب الإلتزام بالمعاهدات في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٤].

ويدعو القرآن البشرية إلى الحرص على السلام كمطلب إلهي، بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٠٨].

٩ - التنبيه إلى تحصيل العلم وسلوك طريق البحث العلمي، باعتباره قاطرة التقدم، ومشروعاً قومياً وحضارياً لازماً لبناء مجتمع النهضة، وهذا لا يتحقق إلا بمحو أمية الإنسان المصري وتنمية الموارد البشرية للانطلاق إلى طريق التقدم والرفق.

وقد حث الإسلام على العلم، وارتقى به إلى مرتبة الفريضة، فهو دعاء المسلم في كل وقت: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: الآية ١١٤]. وجعله فريضة حتمية، يقول الرسول ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم» والمسلم يشمل الذكر والأثني.

تلك أهم بنود الوثيقة، التي جاءت ترجمانا لفقة الشريعة، ورسالة الإسلام الحضارى، وتعبيراً عن الدور المصرى المحلى والإقليمى والعالمى، واستمرار الأزهر الشريف في عطائه المتواصل لخدمة الدين والأمة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

\*\*\*

## إسلام وسط الحصار

من حق الإسلام كدين وثقافة وحضارة أنزله الله تعالى ليكمل به الأديان الكتابية السابقة عليه بفكر التوحيد الذى جاء به الخليل إبراهيم عليه السلام، أن تتاح له فرصة التعبير عن جوهره، والتعريف بمبادئه، وأن يطلع الناس على إنسانية الرسالة المنزلة على محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وأن يعامل المسلمون باحترام وأن تكفل لهم حقوقهم على سواء مع إخوانهم فى الإنسانية على امتداد العالم.

لقد شاع ضد الإسلام ألوان من سوء الظن والشك والاتهام والعداء حتى راحت القوى الكبرى فى عالم اليوم تدق طبول الحرب وتزرع ألغام الصراعات فى أوطان هذا الدين وضد أتباعه، وعمّت فرية الإرهاب والعنف والكرهية ورفض الآخر الأبواق العالمية، من خلال ما يملكه الغرب من آلة إعلامية جبارة، لا تتوقف عن الحديث المسئى والمشوه عن الإسلام، فى لغة تحريضية فجة تنسب كل المعاييب والسلوكيات الهمجية تجاه كل ما يتصل بالإسلام.

لقد اعتبرت الحضارة الغربية أن الإسلام المنسوب فى زعمهم إلى محمد ﷺ وهو الصك الذى صكه المستشرقون باسم المحمدية وإلى هؤلاء البدو من العرب القابعيين فى جزيرة العرب، انتقاصا من المسيحية، وخصما من رصيدهم فى الهيمنة والسيطرة على مقدرات العالم ومصيره، وأنه ما كان يجوز لهذا الدين ولا لذلك النبى وأتباعه المسلمين أن

يعلنوا عن هذا الدين، ويقوموا بنشره، مما أدى إلى أن يقوض الوجود المسيحي، ويستولى على الحضارة الرومانية سليلة الحضارة الغربية الحديثة، ويفرض وجوده ورسالته على الناس، كدين عالمي.

ومكمن الخطأ في هذا الفهم للإسلام ولنبيه وأتباعه أن الإسلام والمسلمين، لم يكن ثورة محلية أو حركة داخلية، ولا مطلباً قطرياً ولا مذهباً قومياً، جاء لطموحات شخصية أو لمطامع مادية أو لتوسعات إقليمية، ومنافسات على زعامة أو سيطرة ونزعات عدوانية كما يحلو للغربيين أن ينعنوا هذا الدين ويلصقوا به كل ما هو غير إنساني وغير حضاري، حقيقة الأمر والقطب الأعظم في الإسلام الذي لا يفسح مفكرو الغرب وأقطابه وصانعو القرار فيه أن يتفهموا قوته وحيويته أنه دين بالمعنى الكامل لهذا المصطلح كمنظومة جامعة للإيمان بالإله الخالق الحقيق بالربوبية وبالرسل جميعاً وبالكتب المقدسة والملائكة واليوم الآخر، وهو الدين الشامل الذي جاء به النبي وحمل المؤمنون لواءه من بعده: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٥].

كما أراد الله نهوضاً وارتفاعاً بالإنسان، وإسعاد البشر وإقامة نظام يتكامل فيه الدين باعتباره وضعاً إلهياً مع الحياة بإعمال الملكات والقوى التي خلقها الله تعالى في الإنسان.

وعلى هذا النسق من الاعتراف بالأديان الكتابية اليهودية والنصرانية كانت دعوة أتباعهما إلى الإيمان بالله، وضرورة التعايش السلمي،

وحمل رسالة دين الله إلى العالمين في كل أرجاء الأرض، والتحرر من كل ما سوى الله، والتعاون على إرساء هذه المفاهيم الواضحة فقد دعا القرآن المسلم والمسيحي واليهودي إلى الالتفاف حول هذه رسالة والعمل وفقا لتلك الدعوة، في ذلك النداء الرحب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤].

وما ذلك إلا لأن الإسلام هو الدين الجامع لأديان الله والرسالة الخاتمة إلى البشر، ينبع من مشكاة واحدة، هي النور الإلهي، الذي وجد غرسه الأول في دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام.

وعلى هدى هذه الحقيقة، تبرز خطيئة الفكر الغربي تجاه الإسلام في أنه جاء ليزيل المسيحية، وذات الخطيئة في اليهودية كذلك، ويحل محلها، وينتقص من أرضها، ويسوم أتباعها العذاب، ويبذر بذور التوتر والصراع العالمي، فما جاء الإسلام إلا حاملا رسالتيهما الصحيحة، مؤمنا برسوليهما ومعليا شأنيهما، ومتصالحا مع أتباعهما، داعيا إلى التعاون معهما في سبيل المصلحة والخير والسلام للبشرية جمعاء.

وقد أشار الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إلى هذا الجوهر النفيس في قوله: «إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا وحسنه إلا موضع لبنة، فصار الناس يطوفون ويقولون: لو وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين».

ومن ذلك يدرك الناظر بعين الإنصاف لدين الإسلام أنه لا يقيم خصومة مع أحد، ولا عداً مع من آمن بدين آخر ورفض الإسلام، وأنه يمد يده دوماً إلى المخالفين، يقيم جسور التعاون معهم، على أساس أن كل إنسان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، على شرط احترام أصوله وثوابته، ومسالمة أتباعه وعدم فرض الأيدولوجية الغربية وقهر المسلمين على الانصياع لها، وممارسة الغزو الفكري، ومحو أو تمييع الشخصية المسلمة.

ومن هنا تبرز الإشكالية القائمة في علاقة الإسلام والمسلمين بالغرب، من منطلق أن المسلمين كلهم إرهابيون وحاقدون على الغرب، بسبب صنيع فئة مارقة عن الإسلام في ممارستها لأعمال عدوانية ضد الأبرياء والمدنيين، كما يتجلى ذلك في الاختراق الغربي للإسلام في عمق أوطان المسلمين، وتفكيك بنية المجتمعات الإسلامية من الداخل، وإثارة نزعات الانفصال والفرقة، وإشعال نيران الحروب في قلب العالم الإسلامي، ودعم وجود إسرائيل وتكريس عدوانها على الفلسطينيين، ومناصرتها في أيديولوجيتها العنصرية واستباحتها لحرمة المقدسات الإسلامية في المسجد الأقصى، وأماكن العبادة، والوطن الفلسطيني.

ولو أنصف عقلاء الغرب ودعاة السلام، فيه، واستجابوا لداعى العقل الرشيد، والمصلحة العالمية، لأيقنوا أن التعامل على أساس الاحترام مع رسالة الإسلام في الدين والحياة، والحفاظ على حقوق المسلمين، والتعاون المخلص معهم، هو السبيل الحق، لإرساء السلام العالمى، وثقافة حقوق الإنسان.

لكن الغرب، بما أحرزه من تفوق مادي وتكنولوجي يصر على التخلي عن الهوية الدينية وإضعاف شخصية المسلم، بالتشكيك في الإسلام ونزعه من أعماق نفوس المسلمين، ومحو الإيمان بالقرآن والتصديق بمحمد ﷺ إن أمكنه ذلك، أو على الأقل انتزاع أوطانه، والسيطرة على مقدراته، ونهب ثرواته، وإخضاع المسلمين، واختراق دينهم، وجعلهم تروسا في آلة الصناعة الغربية.

إن الواقع المشاهد على الساحة الإسلامية يؤكد على سلوك هذه الممارسات الظالمة ضد الإسلام والمسلمين، وهي تمضى على قدم وساق غير عابئة بمطالبات المسلمين بالكف عن العدوان على دينهم وأوطانهم، ولا مكترثة بأصوات دعاة السلام، وهم موجودون في العالم الغربي، إذ يأبى أصحاب القرار إلا أن يكرسوا هذا الصراع وأن يبقوا على تبعية العالم الإسلامي لسلطوتهم وسلطانهم.

وفى ذات الوقت ولصرف الأنظار عن إيجاد الحلول المنهية للمشكلات القائمة والصراعات المشتعلة على أرض العالم الإسلامي، لا يكف الغرب عن طرح مبادرات ذات بريق جذاب، وأهداف كبيرة تبني عليها آمال كبار دون أن تجد لها صدى ملموسا على أرض الواقع، فعلى المستوى الدينى والفكرى تدور حوارات الأديان والثقافات والحضارات، نذكر مما انعقد منها مؤخرا في لقاء القمة لزعماء الأديان العالمية الذى عقد فى باكو عاصمة أذربيجان، ودعا إلى استتباب السلام الذى يحفظ لكل دولة وحدتها الترابية، وأن الحاجة إلى التعاون بين المجتمعات الدينية التقليدية تتعاضم بحكم الظروف الراهنة، وأكد مسئولية زعماء الأديان

تجاه مستقبل العالم التي تحتم عليهم مواجهة الأنانية والعنف والعداء. كذلك انعقد المنتدى الثالث لتحالف الحضارات في البرازيل، والذي دارت فعالياته حول التنوع الثقافي وتحالف الحضارات كإحدى الوسائل الأساسية لتحقيق السلام على المستوى الدولي. ولسنا نقول بأنه لا جدوى من هذه المؤتمرات والمنتديات، بل نثمنها، وندعو إلى تفعيلها، ومتابعة ما يصدر عنها، لكن الأهم هو توفر النية الصادقة والإرادة الجادة على ترجمة حصيلة رؤاها في الواقع المعيش، والاعتراف بالإسلام كدين ومنهج في النظام العالمي، والدعوة إلى تخليص العالم من الصراعات والحروب، والكف عن سلوك الأسباب الموصلة إليها، وإرساء السلام العالمي والتعاون النافع بين الأمم والشعوب.

\*\*\*

## صورة الإسلام عبر شبكة المعلومات العالمية [الإنترنت]

يكاد يتعذر على المطالع والمتابع لشبكة المعلومات الدولية ، أن يحيط علما بكل ما يبث على هذه الشبكة العنكبوتية الجبارة ، لما تحويه من الجديد والغريب والفريد من المعلومات والأنباء. فلا يستطيع أن يحصى كم الأخبار والمقالات والأطروحات والآراء والرؤى التي تتناول الإسلام في كل مناحيه وتصوراته ومفاهيمه باعتباره دينا إلهيا وعقيدة يدين بها المسلمون حول العالم ونظرتة للكون من حولنا ، وتصوره للحياة التي نعيشها ، واعتبار الإنسان محور الوجود ومحط الاهتمام في هذا العالم منذ بدء الخليقة ، وحتى قيام الساعة ، ولذلك تزايد الاهتمام بالإسلام الدين والأيدلوجية والشرع والأخلاق والحضارة ، بغرض تحجيم دوره ، والحد من سلطانه على النفوس والعقول ، في العالم المتقدم وفي عقر داره ، ضمناً لسيطرة الغرب على مقدرات العالم المعاصر. وثمة ملاحظة لا تخطئها العين البصيرة ، على مواقع هذه الشبكة الأثيرة تتحصل في جعل الإسلام محاصرا وهدفا للاتهام ومرمى لتصويب السهام إليه دائماً ليس بغرض النقد الموضوعي ، وإنما بقصد تجريده من مواضع القدسية وإزاحته عن مواقعه الحصينة في بلاد الإسلام ، وبالأولى عن بلاد الغرب ، والاجترأ عليه وتقييمه بحسابانه فكرا بشريا ، يخلع عنه وصف الدين الإلهي الذي نبع من مشكاة ووحى الأديان السماوية ، باعتبارها الأديان التي انبثقت من تعاليم السماء وهي الدين اليهودي

والدين المسيحي، ثم كان ختامها الدين الإسلامي، باعتباره الدين الشامل والتمتم والمحصن للديانات السماوية السابقة عليه، ومصداقاً لها، ومنافحاً عن قيمها وتعاليمها الإلهية في مجابهة الأديان الوضعية والوثنية الجديدة، والمادية الطاغية.

هذه الصورة المغلوطة والخاطئة عن الإسلام ليست الوحيدة في هذا الزخم من المعلومات، لكن تبقى هي الجانب الغالب على مجمل الفضاء الخارجي الذي يعرض به الغرب الإسلام، بما يملكه من تقنيات هائلة باعتباره صاحب سبق الريادة في المجالات العلمية والتقنية، الموجه لها بحسب ما يبوئه مركز الصدارة والنفوذ، ويحقق مصالحه ومطامعه، ويضمن له السيطرة والتحكم في مصير ومستقبل العالم المعاصر.

ومن الإنصاف القول بأن هذا الفضاء المعلوماتي، يطلع فيه المتصفح للمواقع على لون آخر من الإنصاف يتمثل في إظهار مكانة الإسلام كدين إلهي حمل للبشرية مبادئ وقيم وحضارة، أضافت للعتاء الإنساني عبر المسيرة البشرية المتطاولة في توالي الأزمان، وتعاقب الأجيال. وعلى الرغم من النظر الموضوعي والبناء في هذا التوجه، لكنه يظل قابلاً في مساحة ضيقة وعلى استحياء، ومحاطاً بالانتقادات والهجوم عليه من المعسكر المناوئ.

وثالث الاتجاهات التي يرصدها المتابع لما ينشر في هذا الجهاز الخطير، تلك المعلومات والأخبار الملتبسة خليطاً من عمل صالح وطالح معاً، بما يكشف عن جهل ونقص المعرفة عن الآخر، خاصة الجهل بحقائق الإسلام ومقاصده العليا في الحياة وطبيعة رسالته، ونمط علاقاته

بالآخر، وفى المقابل القصور المعيب من جانب المسلمين فى فهم الغرب، وتوجهاته إزاء الإسلام، ونظرته السلبية تجاه الأديان، ونفى المقدس، وتعظيم كل ما هو عقلانى ومادى.

وإذا كان مقبولاً أن تعدد الرؤى والاتجاهات فى منظورها للإسلام على سند من أن التنوع والتباين وهو من السنن الإلهية التى أرساها الإسلام بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَّلَانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ [سورة هود: الآيتان ١١٨-١١٩].

إلا أنه من غير المقنع والمجافى للعقل والمنطق بث هذا السيل من الهجوم الضارى على الإسلام برمته، والسعى لاختراق أصوله وجماع منظومته، فى عصر تقاربت فيه سبل التواصل والاجتماع بين البشر، وطويت المسافات، وأصبحت السماوات مفتوحة تيسر سبل الحصول على المعلومات، ويتسنى الإطلاع على الحقائق على أرض الواقع، بحكم المنجزات التكنولوجية التى صيرت العالم قرية كونية، وجعلت من عصر المعلوماتية حقيقة كائنة.

ومن غير المفهوم كذلك، أن تتصدى لهذه الحملات المسيئة للإسلام شبكات إعلامية ورموز غربية ومراكز صناعة القرار فيه، ومؤسسات بحثية وأكاديمية ومجموعات عنصرية ولوبيات صهيونية يهودية ومسيحية، وتنظيمات سياسية عن طريق وصم الإسلام بكل ما هو إنسانى وغير حضارى.

لقد بات مألوفاً ومعروفاً نعت الإسلام بأنه دين بدائى متخلف، يتخذ من العنف والتصفية الجسدية والإرهاب نهجاً للتعامل مع المخالفين

له، وأنه لا يعرف التعايش السلمى مع الآخر، وأنه دين الكراهية والتعصب والتمييز ضد الأغيار الكفار والمشركين. وأنه لا يؤمن بحقوق الإنسان وحق المواطنة، ويزدرى المرأة ويجعلها مواطناً من الدرجة الثانية.

كان لزاماً فى ظل هذه الأجواء العاصفة ضد الإسلام، أن تنشأ ظاهرة الإسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام) ويعزى هذه النشأة إلى منظمة The Runnymede Trust<sup>(1)</sup>. وهى إحدى منظمات المجتمع المدنى NGO.S عام ١٩٩٧م، فقد حددت معالم هذه الظاهرة فى المعايير الثمانية الآتية:

- ١ - اعتبار الإسلام كيانا أحاديا جامدا قلما يتأثر بالتغيير.
- ٢ - نعت الإسلام بوصفه الآخر، الذى ليس له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى، ومن ثم لا يتأثر بها ولا يؤثر فيها.
- ٣ - الإسلام يحتل مكانة دونية بالنسبة للغرب، وهو بربرى وغير عقلانى بدائى وجنسى النزعة.
- ٤ - وصم الإسلام بالعنف والعدوانية ومصدر خطورة للسلام، وأنه مفطور على الإرهاب والصدام بين الحضارات.
- ٥ - النظر للإسلام على أنه أيولوجية سياسية لتحقيق مصالح سياسية وعسكرية.
- ٦ - رفض أى نقد إسلامى للنظام الغربى.
- ٧ - تصنيف الإسلام ضمن الأعداء، لتبرير ممارسات تمييزية ضد المسلمين وإبعادهم عن المجتمع المهيمن.

---

(1) aljazeera.net / Http:\www./ porta/ templates.

٨ - تبني سياسة العداء تجاه المسلمين، باعتبارها أمرا طبيعيا وعاديا والمستقرئ المدقق في معالم الصورة، يخرج بخليط من الرؤى والاتجاهات يمكن رصدها في ثلاثة نماذج:

### **النموذج الأول:**

نموذج الطعن والإساءة والتشكيك في الإسلام.

### **النموذج الثاني:**

نموذج الموضوعية والإنصاف تجاه الإسلام والمسلمين.

### **النموذج الثالث:**

نموذج الالتباس أو الخلط بين الطعن والإنصاف.

\*\*\*